الباب الخامس

إصلاح الفكر الشيعي

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

إن سبب ظهور التشيع منذ بداياته كان سببًا سياسيًّا يتعلق بالإمامة وخلافة المسلمين، وقد بدأ هذا الخلاف بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك لعدم وجود نص صريح في القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة، وكان هذا واضحًا في الجدال الذي حصل في سقيفة بني ساعدة، فلم ينقل إلينا أي طرف احتج يومها بوجود نص على إمامة علي أو أبي بكر رضي الله عنهما لا من القرآن ولا من السنة، ويبدو أن الإمام عليًّا كان راغبًا بالخلافة ولكن لصغر سنه (كان عمره وقتها ثلاثين سنة)، ومن الواقع الذي حصل يفهم بأن اختيار الخليفة هو شورى بين المسلمين، وهذا ما حصل فعلاً في السقيفة استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى: ٣٨، وليس هذا مكانًا لبسط الخلاف والاحتجاج حول هذه القضية، التي سلم فيها غالبية المسلمين والصحابة جميعًا بالخلافة لأبي بكر وعمر وعثمان بعد ذلك برضا وتنازل من الإمام علي عما كان يرغب فيه، ولكن يبدو أن قلة من الأصوات كانت ترى أحقية الإمام علي بصفته من آل البيت، وهذه الأصوات يبدو أنها زادت وارتفع صوتها في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه لأسباب كثيرة، بسطناها في كتابنا (جذور التشيع)، كان من أهمها مطالبة أكثر القبائل اليمنية بالمساواة في العطاء مع قريش، وكان هذا رأي الإمام علي خالف فيه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

زاد من وقوع الخلاف ظهور أفكار وعناصر أجنبية مستقاة من اليهودية، خاصة للاحتجاج بإمامة علي رضي الله عنه، وهو ما سمي عند المؤرخين بجهود السبئية بزعامة عبدالله بن سبأ، ومهما قيل في حقيقة شخصيته، فإن أفكار السبئية بدأت تظهر وتنتشر خاصة في خلافة الإمام علي التي تمحورت في أغلبها حول شخصية الإمام علي، وبمرور الوقت ازدادت تلك الأفكار والاحتجاج، وقد وجد أصحابها في الفكر اليهودي خاصة ما يفيدهم في احتجاجاتهم، والتي نشير إلى ملخصها بما يأتي:

١. ذكر النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) مقالة السبئية في الإمام علي: أنه لم يقتل ولم يمت، وإنما سيرجع، وقد سبق أن بحثنا فكرة الرجعة في المجوسية والنصرانية واليهودية.
٢. كما قال النوبختي: إن ابن سبأ هو أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.
٣. وذكر النوبختي: أن ابن سبأ هو أول من قال بالوصية من النبي لعلي بالخلافة، كما أوصى موسى بخلافة يوشع بن نون في قومه.
٤. تنقل بعض المصادر: أن ابن سبأ قد قال في القرآن الكريم: «إن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي»[١].
٥. نقل عن ابن قتيبة: أن ابن سبأ هو من قال: إن علي بن أبي طالب هو الرب.

(١) نقل سليمان العودة في كتابه عبدالله بن سبأ عن الجوزاني: في كتابه الضعفاء، (ص ٣).

openkan.com

الفصل الأول

جهود الإمام علي في إصلاح مقالات السبئية (التشيع)

تنقل المصادر إلينا أن الإمام عليًّا بعد ما بلغه مقالة ابن سبأ فيه أمر بقتله، فاعترض بعض أصحاب الإمام علي قائلين: أتقتل رجلاً يدعو إلى محبتكم؟! فقيل: إنه أبعده إلى المدائن، وتذكر روايات أخرى أن ابن سبأ استمر بنشر أفكاره المتعلقة بالغلو في شخص الإمام علي، حيث نسب له القول بألوهية الإمام علي أو شيء من صفات الألوهية. وقيل: إن عليًّا رضي الله عنه أمر غلامه قنبر بإحراق السبئية على مقالتهم تلك، ونسب للإمام علي أبيات شعر في هذا المقام، وأينما تكون الحقيقة فإن أفكار السبئية ظهرت في عصر الإمام علي، ولكنه رضي الله عنه لم يستطع القضاء عليها وذلك لانشغاله في حروب خصومه ولقصر مدة خلافته (أربع سنوات)، وذكرت بعض المصادر اعتراض عبدالله بن عباس على الحرق محتجًّا بما نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله وحده هو المعذب بالنار[1].

كما تذكر المصادر أن السبئية الذين كانوا في جيش الإمام علي كانوا يعجلون الرحيل إلى أماكن يريدونها، فيضطر الإمام علي إلى متابعتهم، وهذا يدل على عدم مقدرة الإمام علي على صد تحركات السبئية، إضافة إلى عدم مقدرته على قطع ألسنتهم بما كان يدور بينهم ضده، حتى حينما وزع ما كان في بيت المال في البصرة على المقاتلين، فقد خاض السبئية وطعنوا على الإمام علي في مقدار هذا التوزيع، وهنا نسأل ما هي الأسباب التي أدت إلى فشل الإمام علي في القضاء على السبئية واستشراء أفكارهم وانتشارها خاصة بعد مقتله رضي الله عنه، ويمكن إجمالها في نظري بالآتي:

---

(١) سليمان العودة: كتاب عبدالله بن سبأ، (ص ٢١٤)، دار طيبة، سنة ١٩٩٩م، الرياض.

١. كما قلنا: إن مدة خلافة الإمام علي لم تدم أكثر من أربع سنوات، لم يمكنه الوقت القصير هذا في إصلاح تلك المقالات.

٢. مع قصر مدة خلافته رضي الله عنه انشغل بحروب ضد مخالفيه: كحرب الجمل وحرب صفين والنهروان.

٣. بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ومبايعة علي رضي الله عنه كان الخليفة علي مدركًا خطورة أولئك الذين اشتركوا في قتل عثمان، وتنقل الروايات أنه طلب منهم الرجوع والانصراف إلى مياههم، قاصدًا عدم تمكينهم من التكتل وأن يصبحوا قوة، ولكن أكثريتهم لم يتفرقوا بل دخلوا في جيشه واشتركوا في حرب الجمل، وهذا واضح من مسلك عبدالله بن الزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم، الذين طالبوا بإخراجهم من جيشه واعتذاره بعدم مقدرته في حينه على ذلك، وطالبوا بقتل الذين شاركوا في دم الخليفة عثمان، وهذا واضح من الروايات المتفق عليها.

٤. بعد انتهاء الإمام علي من حرب الجمل في البصرة أراد الرجوع بجيشه إلى المدينة بصفتها حاضرة الإسلام والمسلمين، ولكن أصحابه خاصة من القبائل اليمنية التي تسكن الكوفة اعترضت على ذلك، وطلبت الذهاب إلى الكوفة وأقنعوه بأن في الكوفة والعراق عمومًا من الميرة والحبوب والخيرات ما يتفق مع كثرة جيشه، فاقتنع رضي الله عنه بذلك، واتخذ الكوفة عاصمة له، فكان هذا سببًا لاقترابه وجيشه من أفكار المجوسية واليهودية التي لا تزال لا تدين للفكر الإسلامي الجديد، وهذا واضح عند دراسة النزاعات الفكرية لأهل الكوفة في القرن الأول الهجري واتصالهم بالفرس وزواجهم بالأعجميات، وهو ما حذر منه سابقًا الخليفة عمر رضي الله عنه.

٥. إن حروب الإمام علي في خلافته أدت إلى القتال بين المسلمين، وكل فريق أضحى يلتمس لنفسه الاحتجاج ضد الطرف الآخر، مما تسبب بظهور أفكار الغلاة الذين استخدموا كل ما تيسر لهم من حجج استعاروها من الديانات السابقة، خاصة الذين كانوا يقطنون العراق والشام موطن الديانات والفلسفات القديمة. أمام كل ذلك لم يستطع الإمام علي ولا أصحابه إصلاح وتنقية الفكر الأجنبي

والسبئي المخالف لعقيدة الإسلام، بل استشرت قوته باستشراء الصدام بين المسلمين وظهور فرق ومقالات كثيرة كما هو معلوم للدارسين.

٦. اعتراف الإمام علي رضي الله عنه بعد توليه الخلافة مباشرة بعدم قدرته على الوقوف ضد السبئية والأعراب الذين شغبوا وقتلوا الخليفة عثمان، بالرغم من محاولته عدة أيام كما تنقل الروايات في طلبه لهؤلاء المشاغبين الرجوع لمياههم وأوطانهم، وظلوا مندسين في جيشه مع علمه بذلك واعترافه بقوله: «إنهم يملكوننا ولا نملكهم». ويتضح مما سبق أن الإمام عليًّا رضي الله عنه لم يفلح في إصلاح الاعوجاج الفكري المندس من عناصر أجنبية في زمنه، فاستمر هذا التغلغل الفكري، وتحول إلى حركات سرية في العهد الأموي والعباسي الأول.

٧. تشير المصادر التاريخية إلى أن العرب المسلمين حينما قاموا بفتح العراق والشام ومصر وإيران قاموا بتمصير بعض المدن كثكنات عسكرية، مثل الكوفة والفسطاط وقم، وقد سكن في هذه الأمصار جملة من القبائل اليمنية: كهمدان وكندة وتجيب ومذحج وغيرهم، وتشير المصادر أيضًا إلى أن بعضًا من هذه القبائل كانت تحوي كثيرًا من متهودة العرب الذين كانوا يهودًا قبل الإسلام في اليمن، وقد ظهر أثرهم في انتشار الأفكار السبئية في تلك الحواضر، وتشير المصادر إلى أن يهودًا من قبيلة تجيب وجذام وكندة قد سكنوا الفسطاط بمصر منذ سنة ٢١ هجرية، وكان لهم محلة مشهورة فيما بعد سُمِّيت بقصر الشمع، تم فيها بناء كنيس للعبادة لهم مع جزارة خاصة وحمام. وفي الكوفة منذ تأسيسها مسجد يدعى بمسجد الحمراء، وهو لغير العرب من العرب الموالي والمسلمين من جذور نصرانية أو يهودية، وتنقل المصادر أن والي الكوفة الحجاج حينما ضاق بهم ذرعًا دمغهم بقوله: إن الكوفة موطن اليهود والخوارج. ومن غير المستبعد أن يكون المشاركون في حصار الخليفة عثمان وقتله هم من أولئك القادمين من فسطاط مصر والكوفة، واندس بعضهم في جيش الإمام علي، وهذا الموضوع يحتاج إلى تحقيق واسع وعميق من قبل الباحثين[1].

(١) د. إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، (ص٩٢)، وما بعدها، مطبعة الاعتماد بالقاهرة، سنة ١٩٢٧م. د. زبيدة محمد عطا: اليهود في العالم العربي، (٢٣٨/١)، وما بعدها، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة. وانظر: كتابنا جذورالتشيع، الكوفة والمدائن.

جهود الإمام جعفر الصادق في إصلاح التشيع

عُرف الإمام جعفر بن محمد بانعزاله عن السياسة، وسكن في المدينة المنورة بعيدًا عن مراكز التشيع، ولكن الشيعة وخاصة من سكنة العراق والكوفة كانوا يزورنه في مواسم الحج أو العمرة، وكانوا يحرصون على معرفة رأيه في الأحداث والأفكار التي كانت تروج خاصة في الكوفة، فكان كثير منهم يرجع إلى قومه مدعيًا بأحاديث يكذب فيها على الإمام جعفر للاحتجاج بآرائهم المستعارة من اليهودية والمجوسية والديانات والأفكار القديمة، مدعين أن الإمام جعفر قد قالها لهم، وهذا ما تزخر به كتب الحديث الأربعة خاصة عند الشيعة، فهذا زرارة بن أعين (ت١٥٠هـ) مولى رومي الأصل لبني شيبان، وكان جده سنن راهبًا في بلاد الروم، وردت له أكثر من ألفين ومئتي حديث ادعى روايتها عن أبي عبدالله جعفر الصادق، وتذكر الروايات أن زرارة التقى الإمام الصادق وزاره عدة مرات، فكان يكذب على الإمام، وحاول الإمام جعفر نهيه عن تلك الأكاذيب والآراء الغالية التي يبثها بين شيعة الكوفة، فقد ورد أن الإمام جعفر وصف زرارة؛ وأصحابه بأنهم شر من اليهود والنصارى[١].

وأهم ما استنكر الصادق على زرارة رأيه: أن الله ثالث ثلاثة. أي أنه يؤمن بفكرة التثليث في النصرانية، وقد ورد أن الإمام الصادق لعن زرارة، لأنه كذب عليه في مسألة الاستطاعة، وقد وصل نفوذ زرارة في الكوفة بين الشيعة شأنًا كبيرًا، بحيث أصبح شيعة الكوفة يخافون الإنكار على زرارة إلى درجة أن زرارة هددهم، كما نقل الكشي في رجاله بأنه سأل جعفر الصادق عن التشهد، فلما كان الجواب لم يعجب زرارة، قال: خرجت من الإمام الصادق وضرطت في لحيته[٢].

فكيف يستقيم قبول روايات زرارة، وقد دمغه الإمام الصادق بالكذب واللعن، وأنه سيموت تائهًا، كما تقول الرواية.

---

(١) انظر: كتابنا جذورالتشيع، الكوفة والمدائن.

(٢) الكشي: الرجال، ص(١٤٧).

وهذا أبو الخطاب محمد بن أبي زينب، تذكر المصادر أن أبا الخطاب كان له مقالات غالية في صفات الأئمة (أئمة الشيعة)، وكان له سطوة ونفوذ على أصحاب الصادق، فكان يعمد إلى تبديل أقوال الرواة الذين يخرجون من مجلس الإمام جعفر الصادق إلى مقالات فاحشة.

فقد نقل المجلسي عن علي بن عقبة أن أبا الخطاب كان يحمل جوابات جعفر الصادق من المدينة إلى شيعة الكوفة، فكان يبدل تلك الإجابات إلى مقالات فاسدة، ونسب إليه أنه يماشي السفلة، وقد نقل الكشي أن الإمام جعفر قد حذر من أكاذيب أبي الخطاب، وأخيرًا ادعى أبو الخطاب أنه قد عينه الإمام وصيًّا على شيعة الكوفة، ثم ادعى النبوة، وقد دفعه الإمام الصادق بالكذب عليه وعلى الأئمة الآخرين، وقرنه بمسيلمة وابن سبأ والمختار، كما نقلت ذلك المصادر الشيعية كالكشي والمجلسي والطوسي وغيرهم[١].

وهذا أيضًا جابر بن عبدالله الجعفي، تذكر مصادر الشيعة أن جابرًا روى عن الإمام محمد الباقر سبعين ألف حديث، كما روى عن الإمام الصادق مئة وأربعين ألف حديث[٢].

والعجيب أن الكشي في رجاله يروي عن الإمام الصادق: أنه لم ير جابرًا إلا مرة واحدة عند أبيه الباقر، وأنكر الإمام الصادق دخول جابر عليه مطلقًا، وقد اخترنا الرواة الثلاثة فيما سبق كأمثلة عن كثير من الرواة الذين يكذبون على الأئمة، وخاصة على الإمام الصادق، وأسباب ذلك عالجناها مفصلة في كتابنا (جذور التشيع) (انظر: ص٦٠٦، وما بعدها).

والآن نسأل: لماذا لم يستطع الإمام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق في إصلاح هؤلاء وأمثالهم الكثير من الرواة، الذين كذبوا على الأئمة وعلى آل البيت عليهم السلام، يمكن إجمال أسباب ذلك بما يأتي:

(١) الكشي: رجال، (ص ١٤٥). النوبختي والكشي: رجال، (ص ٢٥٧- ٢٥٨).
(٢) الكشي: رجال، (ص ١٩١). والنجاشي، (ص١٠٠).

١. إن مكان إقامة هؤلاء الأئمة بالمدينة والرواة الكذبة في الكوفة والمدائن وغيرها مما تبعد فيه المسافات، وتقصر فيه قدرة الأئمة بتصحيح مقالات هؤلاء الرواة والتغلب عليهم.
٢. إن الدولة الأموية كانت تتشكك في نوايا العلويين والهاشميين، وخاصة هؤلاء الأئمة الذين كانوا تحت مراقبة السلطة ومعرفتها بمن يدخل عليهم، فلا يستبعد أن يكون أولئك الرواة الكذبة ممن تبثهم السلطة لتفريق الشيعة عن أئمتها وتشويه مقالات الأئمة والمنقول عنهم.
٣. إن غالبية أولئك الرواة كانوا من الموالي أو من مخلفات السبي بعد فتح العراق والشام و إيران؛ فالكثير منهم كانت لهم جذور تتصل بالنصرانية واليهودية والمجوسية، فأباحوا لأنفسهم الكذب والادعاء بمقالات الديانات القديمة، ووضعها على فم الأئمة في وقت يصعب فيه تتبع هؤلاء الرواة وإسقاط مقالاتهم.
٤. إن الدولة الفارسية الساسانية التي سقطت بشكل مفاجئ أمام الفتح الإسلامي لا يزال الكثير من رجالها غير موالٍ لعقيدة الإسلام، و يتوقون إلى رجوع الحكم الساساني المجوسي.
٥. إن هؤلاء الرواة الكذبة وأشياعهم كانوا يديرون حركات سرية ليست ظاهرة بوضوح لجموع المجتمع الإسلامي ولا للدولة، مما جعل مقالاتهم المنكرة في حكم الأسرار الخفية، فلم تظهر رواياتهم وأفكارهم إلا متأخرة عند مرحلة التدوين التي قام بها المحدثون عند الشيعة، فنقلوها في كتاب (الكافي) و(من لا يحضره الفقيه) وكتاب (التهذيب) وكتاب (الاستبصار)، مما أدى إلى حيرة وانقسام في صفوف الشيعة حول تلك المدونات وما فيها من بلايا ومعجزات لا يصدقها العقل، ولا يزال التشيع وعلماؤه في حيرة وانقسام حول ما ورد في تلك المدونات حتى اليوم.
٦. إن الدارس لتاريخ التشيع في القرون الأولى خاصة العصر الأموي والعباسي يلاحظ فشل ثورات الشيعة خاصة في العراق وإيران، ووراء كل فشل من تلك الثورات نتائج سيئة على الفكر الشيعي، الذي أوغل في السرية والكتمان كي لا يتعرض أصحابه للملاحقة والأذى مما تسبب في عدم ظهور تلك الأفكار لمجموع

علماء الأمة والدارسين لمحاولة تنقيتها والرد عليها، فاستمرت في السرية والخفاء، يساعدها في ذلك مبدأ التقية، الذي أضحى شعارًا وديناً لهذا المذهب.

٧. إن فكرة جمع الأخماس للإمام استغلها الكثير من زعماء الشيعة ورواتهم، فاستغلوا تلك الأموال لأنفسهم، وتذكر لنا مصادر الشيعة أسماء كثير من الأشخاص الذين سرقوا هذه الأموال، ولم يستطيع الأئمة انتزاعها منهم مما صعب على الأئمة فكرة إصلاح شيعتهم.

٨. إن ظهور فكرة التقية وشيوع استخدامها بشكل سيئ ضد توجهات الإمام التي لا يرغبون فيها، مدعين أنها خرجت من الإمام أو قالها الإمام على سبيل التقية مما صعب على الأئمة إصلاح القوم.

Obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثاني

الجهود الحديثة لإصلاح التشيع

مقدمة

لقد ظهر في إيران عدة مصلحين للفكر الشيعي الإيراني خاصة والشيعة عمومًا، وقد اخترنا من بين أولئك المصلحين علي شريعتي بوصفه نموذجًا لجهود الإصلاح الديني في إيران في العصر الحديث، كما اخترنا أيضًا أمثلة لمصلحين ظهروا في العراق والشام ولبنان، سنوردهم في هذا الفصل لعرض جهودهم في الإصلاح وإلقاء الضوء على مدى نجاحها، كما سنلقي الضوء على محاولة فكرة التقريب بين السنة والشيعة، التي قامت في مصر، والنظر في مدى نجاحها وتوجهاتها.

جهود علي شريعتي في الإصلاح

جمع علي شريعتي بين العلوم الدينية في المذهب الشيعي الاثني عشري في إيران وبين دراسة العلوم الحديثة وخاصة علم الاجتماع، وانفتح على قراءة رأي المصلحين من علماء السنة والشيعة، أمثال: جمال الدين الأفغاني، ومحمد رشيد رضا، ومالك بن نبي من السنة، ومن الشيعة محمد مهدي الخالصي، ويمكن تلخيص آراء علي شريعتي في الإصلاح عمومًا بما يأتي:

١. قام بتجديد فهم الإسلام على أسس علمية اجتماعية وسياسية؛ فالهدف عنده هو الإنسان وليس الضياع في متاهات النزاعات التاريخية والسياسية.
٢. يجب العودة إلى منبع الإسلام الأول وتنقية الفكر الديني على ضوء ذلك.
٣. يجب فهم التطور الاجتماعي والتاريخي لأمتنا، ودراسته من أجل تجديد وتنقية العيوب والأخطاء، التي وقع فيها السابقون.

obeikan.com

٤. الرجوع إلى الشخصيات الإسلامية ذات النهج الإصلاحي، واتخاذها مثالاً وقدوة تعصم من الانحراف عن الهدف الأساسي، المتمثل في تحرير الفرد والفكر، وتحقيق المساواة والحرية وحاجاته البشرية.

٥. مكافحة الاستعمار الخارجي والاستغلال الديني الداخلي، وذلك بنزع السلاح الديني الذي تسلحت به الطبقة الكهنوتية، وذلك بوجوب عدم سكوتنا أمام رجال الكهنوت، ولكن نتكلم ونخالط ونعلم عموم الناس فلا ندعهم إلى الاستسلام للسلطة الدينية، ولكن ينزع سلاحها عن طريق عزلهم عن المجتمع وتولي المصلحين قيادة المجتمع، وقد ذكر بأن علينا ألا نسلب هؤلاء من الناس، بل علينا أن نسلب الناس من هؤلاء فقط.

٦. توعية الفرد والمجتمع بالظلم الذي هو واقع فيه، والعمل على تسوية الطبقات الاجتماعية واقترابها بعضها من بعض في الثروة والفكر والإحساس بالمسؤولية.

٧. وضع جسر بين المفكرين ومجموع أفراد المجتمع، وعدم تركهم في عزلة عن العالم والتحرر، أو تركهم للكهنوت الديني يقودهم إلى الظلام.

٨. أن نعي متطلبات العصر الحاضر، ونبتعد عن الصور النمطية للمتطلبات العصور البائدة.

٩. تقديم الإسلام كفكرة تغطي بشكل عام تحقيق الوئام والتناسق بالأنا (الذات)، والعالم عن طريق معرفة متطلبات العصر.

١٠. تجديد الاجتهاد (في الشريعة) و التفريق بين الثابت (النص) والمتطور والتخلص من التقليد الأعمى، وما لا ينفع الناس في حياتهم، والمجتمع يحتاج إلى تجديد المفاهيم حسب التطور الاجتماعي والعرفي، ولذا يجب التخلص من القوالب الاجتهادية القديمة والواردة من أفكار المجتهدين لا من النص الثابت.

١١. معرفة الحضارة والثقافة الغربية بقصد الاستفادة منها والمحافظة أيضًا على الهوية الإسلامية، ويبدو أن شريعتي قد تأثر بالأفكار التي وردت شعرًا من عند محمد إقبال حول رأيه بالإصلاح «على المسلم اليوم أن يعيد النظر في الإسلام- في التراث البشري منه- دون انقطاع عن الماضي» «إن كعبتنا عامرة بأصنامنا،

وأن الكفر ليضحك من إسلامنا، وأن شيخنا قامر بالإسلام في عشق الأصنام، واتخذ خيط مسبحته من الزنار، وهو في سفر دائم مع مريديه، وفي غفلة عن حاجات أمته، الوعاظ والصوفية عبدوا المناصب، وأضاعوا حرمة الملة البيضاء: واعظنا إلى بيت الصنم ناظر، ومفتينا بالفتوى يتاجر»[١].

رأي محمد مهدي الخالصي في إصلاح التشيع

ذكر الخالصي أنه درس الإسلام في المدارس العراقية، فلم يفده، ثم نظر في المؤلفات المصرية والنجدية وغيرها وكتب المستشرقين، ثم قال: إني وجدتهم بعيدين عن الإسلام، فبعضهم أبعد من بعض، وعلمت أنني لا أظفر بمن يساعد على حصولي بغيتي، واكتشفت أن كلاً يبحث عن الإسلام، وكل عنه غافلون، يذكرون الإسلام بأهوائهم، ولا يأخذون بالوحي كتاب الله وسنة رسوله، ويرى أن علماء الإسلام اليوم مقلدون، ليس لهم القدرة على استنباط الحكمة من الوحي الإلهي.

وهذه المدرسة الإصلاحية بالكاظمية في بغداد، حصل ضدها رد فعل من بعض علماء الشيعة متهمين الخالصي باقترابه وتأثره بالفكر السني.

رأي محمد باقر الصدر في إصلاح التشيع الديني

تساءل الشيخ محمد باقر الصدر: لماذا تعيش الحوزة العلمية في هذا البلد مئات السنين، ثم بعد هذا يظهر إفلاسها في نفس البلد الذي تعيش فيه؟! وإذا بآيات هذا البلد (في العراق) أو بعض أبنائه يظهرون بمظهر الأعداء والحاقدين والمتربصين، ألا تكون هذه جريمتنا قبل أن تكون جريمتهم، وإن هذه مسؤوليتنا قبل أن تكون مسؤوليتهم.

ويرى أن العلوم الإسلامية أصبحت علومًا جامدة لا حياة فيها، حيث ابتعدت عن زماننا، فأضحت تعيش في عصور غابرة، ودخل بعضها في أطر غير إسلامية، فكانت سببًا للإضرار بالأمة أكثر من نفعها.

---

(١) عبدالرزاق الجبران: علي شريعتي وتجديد التفكير الديني بين العودة إلى الذات وبناء الإيدولوجية، (ص ١٤)، وما بعدها، دار الأمير، بيروت، ط ٢.

وشبهها الصدر بالأحكام التي قضيت سابقًا في الكنائس، وشبه اختلاف الأمة الإسلامية باختلاف أمم النصارى، فحولوا الفكر البشري إلى مقدس لا يمكن الخروج عنه، ونحى باللائمة على العلماء الذين شغلوا بكتابة الشروحات وفك طلاسمها، وتحولت عندهم الخرافة إلى حقيقة والدخيل إلى أصل، وأصبح غالب التراث عبئًا وسببًا لتفرقة المسلمين بدل اتحادهم، وغفلوا عن الرجوع إلى المنبع الأصلي للإسلام[1].

رأي موسى الموسوي في إصلاح التشيع

نشر الموسوي رأيه في تصحيح التشيع في كتابه (الشيعة والتصحيح) عام ١٩٨٧م، وكان قد نشأ في النجف من بيت شيعي، فقد كان جده أبو الحسن الموسوي أحد المراجع الدينية في النجف، وقد قُتل والده فيما يبدو بسبب صراعات دينية داخل المذهب، فقد كان موسى وحيد أبيه، فنشأ محاطًا برعاية شديدة من أسرته وتلبية رغباته، وبعد دراسته الدينية بالنجف، درس في جامعة السربون في باريس، وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة، ثم رحل إلى إيران في عهد الشاه، ولكنه طرد فجاء إلى البصرة وقام بتدريس الفلسفة الإسلامية في كلية الآداب جامعة البصرة في أواخر الستينيات، وتعرض للاغتيال وهو يمشي بمحاذاة شط العرب في البصرة مع صديق له، ثم رحل إلى بغداد وبعدها إلى أمريكا، وأغلب مؤلفاته كانت في فلاسفة الإسلام.

فقد كتب عن آراء الكندي وابن رشد، وكتب عن التجديد في فلسفة صدر الدين السهروردي، وكتب عن آراء بعض الفلاسفة الأوروبيين، وكتب عن تاريخ إيران الحديث (في ربع قرن)، كما كتب عن الثورة الإيرانية وسماها الثورة البائسة، وهنا نتعرض لأهم أفكاره في تصحيح عقيدة الشيعة:

١. فيما يخص فكرة الإمامة

ينكر على الشيعة شتمهم للخلفاء الراشدين، ويطلب تصحيح عقيدتهم بأن يسلكوا مسلك الإمام علي في قبوله تقدمهم عليه في الخلافة، وأوضح محامد الخليفة أبي بكر وجهاده في الإسلام مع بقية الخلفاء الراشدين الآخرين.

(١) عبدالرزاق الجبران: المصد السابق، (ص ٣٧).

وطلب برفع ما ورد من ذم للخلفاء والصحابة في كتب الشيعة؛ لأن جميع الروايات في تلك الكتب غير صحيحة، وأوضح أن أساس المشكلة سببها رجال الدين الشيعة؛ ولذا على الجميع التخلص من نفوذهم وعدم سماع أقوالهم[١].

٢. فيما يخص التقية

يرى الموسوي أن الشيعة قد أذلت نفسها بالتقية، واستترت وراءها لإخفاء الحقيقة، ودعا الشيعة إلى نبذها لعدم صحة القول بها عند الأئمة، وأن ما نقل عنها أحاديث مكذوبة صنعها أصحاب الأغراض. وأوضح أن التقية التي يمارسها علماء الشيعة تعني من حيث الواقع أن يظهر أو يقول شيئًا ولكن يضمر خلافه، وهذا على خلاف ما عمل به الإمام علي وابناه الحسن والحسين[٢] ودعا الشيعة أخيرًا إلى التخلص من فكرة التقية وازدواجية الشخصية، وأن لا يأتوا هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر.

٣. الإمام المهدي المنتظر

ويرى أن فكرة الإمام المهدي المنتظر فكرة جميلة، تبعث على الأمل بتحقيق العدل والسلام، وهي موجودة في كثير من الأديان، ونادى بها أفلاطون والفارابي، ولكن الشيعة حددوا مهديهم بالاسم دون دليل قاطع، وألصقوا بهذه الفكرة بدعتين: بدعة أداء الخمس من المال. وبدعة ولاية الفقيه. بوصف الفقيه وليًّا ووكيلاً عن المهدى المنتظر إلى حين خروجه.

وجرت فكرة المهدي والنيابة عنه فكرة وجوب الاجتهاد وعدم تقليد العالم الميت، ووجوب أن يقلد الشيعي أحد العلماء ويطيعه في مرجعيته. وانتقد الشيعة في منهجهم الفقهي الذي يترك القياس، ويدعون أنهم يأخذون بالعقل، وهم أبعد ما يكون عن استخدام العقل، حيث أكثر ما ورد في أحاديث كتب الشيعة لا يتناسب مع العقل[٣].

---

(١) د. موسى الموسوي: الشيعة والتصحيح، (ص ١٣)، طبعة لوس أنجلوس، ١٩٨٧م.

(٢) الشيعة والتصحيح: مصدر سابق، (ص ٩٦).

(٣) الموسوي: مصدر سابق، (ص ٨٣).

٤. فيما يتعلق بالخمس

يرى الموسوي أن الخمس كما هو وارد في القرآن يختص فقط بغنائم الحرب، ولكن فقهاء الشيعة عمموه على جميع الأموال والمكاسب، وادعوا وجوب دفعها للإمام أو لنائبه (المرجع الديني)، ويرى أن الخمس بدعة ابتدعها الشيعة بعد القرن الثالث الهجري بوصفها وسيلة لتقوية المذهب ودراسته، وابتدع الشيعة أحاديث في وجوب دفع الخمس للإمام الغائب عن طريق وكيله (المرجع)، وتوعدت تلك الأحاديث من لم يدفع بالخلود في النار وعدم قبول صلاته وحجه وجميع طاعاته[١].

ونحا باللائمة على كثير من المراجع الدينية على تجميعهم لأموال الخمس وبعضهم ادعاها لنفسه واستولى عليها ورثته، وأوضح أن الخمس استعمل لتحقيق أغراض الشيعة السياسية.

٥. فيما يخص ولاية الفقيه

يرى أن فكرة ولاية الفقيه بدعة استعارها من ابتدعها عن فكرة الحلول الإلهي في النصرانية، حيث تعتقد بوجود صفة الألوهية لرجل الدين، وأن أمره هو أمر الله، وقال: إن من قال بها اعتقد أن الولي الفقيه إنما هو وكيل عن الإمام الغائب المنتظر، وذكر أن كثيرًا من فقهاء الشيعة أنكروا أن تكون للفقيه سلطة ونيابة عن الإمام، وأن موقعه الآن اعتداء على سلطة القاضي، وأوضح الموسوي كيف أن العالم الشيعي عبدالعال الكركي الذي انتقل من لبنان إلى إيران في عهد الشاه إسماعيل وأضحى بمرتبة الولي الفقيه الذي يُسيِر توجهات الشاه إسماعيل الشيعية (وشاه طهماسب)، خاصة اضطهاد السنة وإجبارهم على دخول مذهب التشيع في عهد إسماعيل الصفوي ومن بعده.

ونحا باللائمة على المجتهد الفقيه السيد محمد الطبطبائي الذي تقدم صفوف جيش الشاه علي القاجاري لغزو روسيا ورجوعه إلى إيران منكسرًا، حيث استقبله الإيرانيون بالخزي والعار على فعلته وتحريضه على ذلك الغزو الفاشل.

---

(١) موسى الموسوي: مصدر سابق، (ص ١٠٥- ١٠٩).

ويرى أن لا سلطة للفقيه على إمام المسلمين ولا على عامتهم، بدليل القرآن الكريم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ١٢٢، فسلطته محصورة بالتعليم والإنذار، ويرى أن فكرة ولاية الفقيه استغلت سياسيًّا، ووضعت في الدستور الإيراني، وأصبحت سلطة على رقاب الجميع بما فيهم الفقهاء.

وذكر الموسوي أنه يخشى أن تستغل فكرة ولاية الفقيه لاضطهاد الناس في إيران أولاً، ثم استخدامها لأغراض سياسية خارج إيران[1].

٦. فيما يتعلق بالغلو

ويرى الموسوي أن غالبية الشيعة الإمامية قد اعتقدوا بعقائد الغلاة النظرية والعملية، فالنظرية ما في كتب الحديث من أفكار غالية ومعجزات عن الأئمة، وأما العملية ففي زيارة الأضرحة الأخرى في معابدهم و أضرحتهم. وامتدح قلة من علماء المذهب الذين حاربوا الغلو، ونادى بتصحيح المذهب، وما فيه من أفكار غالية خاصة ما ورد في كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي، وما ورد فيه من طعن على الخلفاء الراشدين والصحابة، وذكر أن المرجع الديني البروجردي أمر برفع تلك الطعون من الطباعة، ولكن الناشر لم يفِ بذلك في كلا الطبعتين.

٧. وفيما يخص زيارة قبور الأئمة

أنكر الموسوي على الشيعة الإمامية طريقة زيارتهم لقبور الأئمة وما يتلونه من أدعية عند دخولهم أو ما يفعلونه في تلك الزيارت، واعتبر الصيغ المتداولة في كتب الأدعية عندهم هي من فعل الغلاة، التي يذكرون فيها عصمة الإمام ومعجزاته وصفاته التي لا يوصف بها إلا الخالق وحده، واعتبر كل ذلك من صناعة العلماء والمراجع الدينية، وجر الضعفاء والفقراء إلى عمل لا يتفق مع قواعد الإسلام، وما طلبه نبي الأمة في نصوص

(١) د. موسى الموسوي: مصدر سابق، (ص ١٢٣- ١٣٣).

القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وطالب الشيعة وخاصة علماءهم، بتصحيح هذا المسار وعدم الاختلاف مع بقية المسلمين في آداب زيارة المقابر وقبور الصالحين[١].

٨. ضرب الرؤوس في يوم عاشوراء

أنكر على الشيعة الاحتفال بعزاء الحسين يوم عاشوراء، وأنكر ما يفعلونه من ضرب أجسادهم بالسلاسل والقامات ومرورهم مجموعات باكية على قبر الحسين في كربلاء، وقال: إنها عادة نبتت في العهد البويهي الفارسي، الذين حكموا العراق في القرن الرابع الهجري، ثم تعمقت هذه العادة في العصر الصفوي، وكيف أن هذه الاحتفالات السنوية تثير البغضاء والكراهية بين السنة والشيعة، ويذهب ضحيتها القتلى في العراق والهند وباكستان وغيرها، وأوضح كيف أن هذه العادة استغلتها بريطانيا في الإعلام لتوضح للعالم أن تلك القطعان المتوحشة تحتاج إلى من يستعمرها ويدير البلاد عنها، وذكر أن الشيخ محسن الأمين العاملي، قد أفتى بتحريم تلك الأعمال التي تجرى في عزاء الحسين، وكذلك السيد أبو الحسن الموسوي على فتواه.

٩. فيما يتعلق بالشهادة الثالثة

ويقصد بها: (أشهد أن عليًّا ولي الله)، التي ابتدعها السيد المرتضى في القرن الرابع الهجري، ثم أضيفت هذه العبارة فيما بعد إلى الأذان للصلاة في العصر الصفوي.

وذكر أن أكثر فقهاء الشيعة يعدونها بدعة، ولكنها إضافة حسنة لا تفسد الصلاة، بل أصبحت دليلاً على المذهب، وطالب أخيرًا برفع هذه العبارة، والرجوع إلى صيغة الأذان المتفق عليه عند المسلمين[٢].

١٠. وفيما يتعلق بزواج المتعة

أوضح الموسوي دفاع علماء الشيعة إباحة المتعة وتطبيقها خاصة في إيران، وأنكر عليهم الإصرار على إباحتها بالرغم من أن فرقًا شيعية أخرى قد حرمتها، واحتج بأنها

(١) د. موسى الموسوي: مصدر سابق، (ص ١٤٣- ١٤٩).

(٢) موسى الموسوي: مصدر سابق: (ص ١٥٩).

لو كانت حلالاً للجأت تلك الفرق إلى عدم تحريمه وتطبيقها أيضًا في خلافة الإمام علي، إضافة إلى ذلك فإن تطبيقات المتعة في المجتمع تشير إلى مفاسد جمة خاصة في إيران على أوضح وجه من انتشار الأمراض واختلاط الأنساب، واتخاذ المتعة لغايات غير شريفة مخلة بنظام الأسرة وعفاف المرأة.

ونادى علماء الشيعة بتحريمها، وسد هذا الباب الذي تأتي منه كثير من الشرور، وأورد رأيًا للسيد محسن الأمين في قوله: «ليس كل شيء مباحًا هو واجب التطبيق، خاصة إذا ظهرت منه مفاسد»، وهذا شأن المتعة عند الشيخ الأمين.

١١. وفيما يتعلق في السجود على التربة الحسينية

ذكر أن بدعة السجود على التربة الحسينية في أصلها جاءت من رأي فقهاء الشيعة المتعلق بوجوب السجود مباشرة على الأرض أو ما هو من منبت من الأرض، وعدم جواز السجود على الصوف مثلاً بحجة أن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كان مفروشًا بالحصى، وذكر أن هذه البدعة لم يكن ليطبقها أحد لا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الإمام علي والأئمة. يرجح دخولها من قبل الغلاة في العهد الصفوي؛ وحذر من تقديس قبر الحسين وتربته والاستشفاء بشرب طينته، وطالب الشيعة بتصحيح هذا الاعتقاد والرجوع إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة سابقًا[1].

١٢. وفيما يتعلق بالإرهاب والاغتيالات

أدان الموسوي ما تعلق بمذهب الشيعة الغلاة من أعمال إرهابية واغتيالات على مدار التاريخ، وأوضح مسلك الشيعة الإسماعيلية في قلعة الموت، وزعيمهم حسن الصباح من اغتيالات وامتداد هذا المسلك إلى مناطق الشيعة الأخرى، وقيامهم باغتيال الأمير نظام الملك ببغداد، وأوضح أن مبادئ الإسلام لا تقر أعمال الغيلة، وضرب بذلك أمثلة في اغتيال أبي لؤلؤة المجوسي لعمر بن الخطاب واغتيال الخليفة عثمان في بيته، وكذلك اغتيال الإمام علي في مسجد الكوفة وكلها أعمال لم يرضها المسلمون في تاريخهم، وطالب بتصحيح هذا المسلك وما وراءه من عقيدة يشحن بها المتهورون ضد مخالفي الشيعة، وهو

(١) موسى الموسوي: مصدر سابق: (ص ١٦٧).

ما يتكرر في كثير من بلاد الإسلام، وطالب بأن يستبدل التفاهم بالإرهاب والاغتيالات تجنبًا لإشاعة الفتن بين المسلمين[١].

١٣. فيما يتعلق بصلاة الجمعة

أوضح الموسوي أن إقامة صلاة الجمعة أمر واجب بالنص القرآني، ولكن أكثر فقهاء الشيعة الإمامية لم يوجبوها إلا بعد ظهور الإمام الغائب، وذكر أن ذلك دخيل عليهم من روايات موضوعة، قصد بها عزل الشيعة عن بقية المسلمين وعدم سماعهم خطبة الجمعة كي لا يتأثروا بها، وذكر أن قلة من علماء الشيعة أوجبوا إقامتها وعدم الاستعاضة بها عن صلاة الظهر، منهم الحر العاملي وغيره، وطالب بتصحيح هذا الاعتقاد والاستجابة بالنص القرآني بإقامة الجمعة، وأن يقيمها الفرد الشيعي مع بقية المسلمين وعدم التفرد والابتعاد عما يفرق المسلمين[٢].

١٤. وفيما يتعلق بتحريف القرآن

عرض الموسوي رأي الشيعة الإمامية في القرآن الكريم، فقال: إن أغلبية علمائهم يقرون بعدم تحريف القرآن، وأنه هو الوارد في الدفتين لا نقص فيه ولا زيادة، ولكن قلة منهم ذهبت بحصول التحريف في القرآن نقصًا أو زيادة منهم الشيخ النوري في كتابه (تحريف الخطاب في كتاب رب الأرباب) وغيره من الغلاة الذين أوردوا أحاديث موضوعة عن الأئمة في هذا الباب، وسفه الموسوي عقول هؤلاء، كيف يصدقون الرواة الكذبة، ويتركون قول الله في قرآنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩، وذكر أن شيخه السيد الخوئي الذي درس عليه بعض الوقت في النجف يذكر في تفسيره أن مسالة تحريف القرآن هو حديث خرافة، ولكنه في موضع آخر أقر بوجود قرآن لعلي بن أبي طالب ورد فيه كثير من الزيادات، وقال: إن وجوده محل إجماع من علماء الشيعة.

وورود ذلك في كتاب الاحتجاج للطبرسي، ولكن الخوئي فسر تلك الزيادات بأنها شرح إلهي لما ورد في مصحف علي، وانتقد الموسوي هذا الرأي.

---

(١) موسى الموسوي: مصدر سابق: (ص ١٧٧- ١٨٣).

(٢) موسى الموسوي: مصدر سابق، (ص ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٥).

فكيف يختص الله الإمام علي وحده في تأويل القرآن الكريم دون بقية المسلمين، وأنه لم يصح ورود أي إشارة من الإمام علي على أن لديه مصحفًا يختلف عما بيد بقية المسلمين، وكذا أنكر الموسوي صحة ما يعتقده بعض الشيعة من وجود مصحف فاطمة، أو أن يكون فيه علوم لا يعرفها إلا الإمام المهدي الذي سيظهرها، ولماذا تخفى هذه العلوم عن المسلمين، ويحرم منها طيلة تلك الغيبة، وطالب الموسوي الشيعة هؤلاء بتصحيح اعتقادهم في القرآن الكريم، كما هو عليه سائر المسلمين.

١٥. وفيما يتعلق بالرجعة والصلوات الخمس والبداء

أنكر الموسوي على الشيعة الإمامية اعتقادهم برجعة الأئمة إلى الحياة الدنيا، وأن يحكموا الأرض، وأوضح أن هذا الاعتقاد سببه الرغبة في الانتقام من الخلفاء الراشدين والصحابة، الذين اعتقدوا أنهم قد اغتصبوا حق علي في الإمامة، وقال: إن الذين اخترعوا الرجعة بروايات مكذوبة ربما استعاروا الفكرة من فيثاغورث الفيلسوف اليوناني، وقال الموسوي: إن الرجعة ليس لها مكان كبير في الاعتقاد الشيعي، لكنها تتردد في صيغة الأدعية التي تتلى عند زيارة قبور الأئمة، وطالب الموسوي بتصحيح هذه العقيدة والانسجام مع عقيدة بقية المسلمين، كما خطأ الموسوي الشيعة الإمامية ما هم عليه من قصر الصلاة وجمعها مرتين بدل خمس وتركهم سنة النبي، وفعل الإمام علي في إقامته الصلوات الخمس في المساجد، ودعا الشيعة إلى عدم التفرد والخروج عما عليه المسلمون. أما بالنسبة إلى البداء فقد ذكر أن أكثر الشيعة لا يفهمون معناها، وأوضح أن سبب ظهوره يعود إلى تسلسل الإمامة عندهم من الأب إلى الابن الأكبر، ففي عهد الإمام الصادق كان ابنه إسماعيل هو الأكبر، ولكنه توفي في حياة أبيه وإليه تنسب الشيعة الإسماعيلية، ولكن الشيعة الآخرين (الاثني عشرية) ادعوا إمامة موسى بن جعفر خلافًا للقاعدة، وقالوا: إن الله قد بدا له تغيير الإمام من إسماعيل إلى موسى، وذلك للاحتجاج ضد الإسماعيلية، فسبقه صراع سياسي بين فرق الشيعة، وعلى ذلك يطلب الموسوي تصحيح هذه العقيدة التي لا نفع فيها اليوم من الناحية العملية، ومن الأفضل لهم تنزيه الخالق عن فكرة البداء، لأن علمه تعالى سابقًا على الأحداث. وأخيرًا فإن الموسوي بالرغم من أنه قد درس الفلسفة والديانات القديمة، إلا أنه لم يرجع أفكار الشيعة الاثني عشرية التي

طلب تصحيحها إلى القول: إن الشيعة قد استعاروها من ديانات وفلسفات قديمة، إلا إشارات بسيطة في فكرة المهدي المنتظر وفكرة الرجعة.

وعلى كل حال فقد تعرض الموسوي إلى الانتقاد من علماء وكتاب الشيعة الاثني عشرية، حيث تعرضوا فيها لطعنه في سلوكه الشخصي، واتهامه بقلة العلم ليس فقط بعقائد وأفكار الشيعة، بل بقواعد اللغة العربية أيضًا، كما هي عادة نقاد الشيعة، ومن أمثلة من انتقده على آرائه هو الدكتور علاء الدين السيد محمد القزويني في كتابه (مع الدكتور موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح، الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥م)، وليس في هذا الكتاب سوى ترديد ودفاع لنفس ما أورده كُتَّاب وعلماء الشيعة الاثني عشرية المدافعين عن تلك العقائد، فلا حاجة بنا إلى ترديدها.

وقد نادى الموسوي في كتيب صغير (يا شيعة العالم استيقظوا)، وطلب الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. الاستيقاظ لماذا؟
٢. لماذا نحن الشيعة الإمامية ألزمنا أنفسنا بالتبعية للفقهاء؟
٣. لماذا أحكم الفقهاء علينا طوق العبودية؟
٤. لماذا يتعاطف بعض الشيعة مع الزعامة المذهبية الشيعية في إيران ولا يتعاطف مع محنة الشيعة منها؟
٥. لماذا الزعامة الشيعية الإيرانية استعلت على الشيعة من القوميات الأخرى؟
٦. لماذا تؤيد القوى الاستعمارية الكبرى النظام الشيعي المذهبي؟
٧. لماذا لا تتفق بعض دول المنطقة التي تعاني من إرهاب النظام المذهبي الحاكم على الشيعة في إيران مع التصحيح؟
٨. لماذا لم يستطع المناضلون الشيعة إسقاط النظام الشيعي المذهبي؟
٩. هل يوجد حل لخلاص الشيعة من محنتها غير التصحيح؟[١]

(١) موسى الموسوي: يا شيعة العالم استيقظوا. لوس أنجلوس.

رأي مختار الأسدي في إصلاح التشيع

يرى الأسدي أن العقل الشيعي اليوم في أزمة، سببها مبادئ الشيعة القديمة، التي تكونت في ظروف تاريخية معينة وعدم ملاءمتها للفكر والعقل في العصر الحديث، وعدم مقدرة علماء الشيعة الكبار على تجاوز هذه الأزمة، والمجيء على الأقل بتفسيرات وحلول يمكن أن يقبلها الطرف الآخر، ويذكر بحصول طروحات لإصلاح الفكر الشيعي، ولكن من جهات أجنبية مشبوهة، قد يمكن أن يكون قد قصد بها إشعال الصراع والفتنة بين الطرفين الشيعة والسنة، وقد ذكر في المعنى مباحث عدة تتعلق بالعصمة وبالولاية التكوينية، التي يرى فيها الخطأ على إصرار الشيعة في مفهومها، كما أن من الخطأ الدفاع عن إمام غائب يقوم مقامه من يريد استغلال الشيعة فكريًّا وماديًّا، مع أن الله في كتابه قد أمر المسلمين بالشورى لاختيار ولي الأمر، كما نحا باللائمة على تقليد العلماء في الطاعة لهم مع كونهم بشر مثل غيرهم، وأن لا قداسة لأحد يحتج بها على الآخرين من العوام والضعفاء يقصد إخضاعهم لطاعة عمياء[1].

رأي آية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقعي القمي في إصلاح التشيع

درس البرقعي العلوم الدينية لمذهب الشيعة الاثني عشرية في كل من قم والنجف، وحصل على درجة الاجتهاد بعد أربعين سنة، وقام بالتدريس في العديد من مدارس المذهب، ولكنه اكتشف في أثناء دراسته لكتاب (الكافي) لمؤلفه محمد بن يعقوب الكليني أن الأحاديث المروية مطعون بها من قبل المحدثين الشيعة، وذلك من جهتين: جهة الثقة بالراوي؛ لأن أكثر رواتها كذبة لم توثقهم حتى مصادر الشيعة وكتب الرجال، ومن جهة أخرى مخالفة متن الحديث للقرآن الكريم أو للعقل، لما فيها من خزعبلات ومعجزات منسوبة زورًا إلى الأئمة، وقد تعرض المؤلف في إيران للاضطهاد والتحقيق والسجن عدة مرات، تسبب كل ذلك في مرضه ووفاته. وكتب عدة كتب في إصلاح المذهب.

(١) مختار الأسدي: أزمة العقل البشري، دار الانتشار العربي، ٢٠٠٩م، بيروت.

منها: (دراسة حول الولاية)، و(الخرافات الوافرة في زيارات القبور)، وأيضًا (تفسير شعاع من القرآن)، وأيضًا (تحقيق علمي في أحاديث المهدي)، وقد سمى كتابه المتعلق بأحاديث الكافي (كسر الصنم)، حيث اعتبر النصوص الواردة في الكافي كأنها صنم يعبد في المذهب، فلا بد في رأيه من كسر هذا الصنم أولاً، وامتدح البرقعي ما قام به ابن الغضائري من تحقيق الثقة بالراوي ورواته وبنصوص كتب الحديث المروية خاصة كتاب (الكافي) الذي تعرض إلى زيادات قام بها أهل الأغراض، كما امتدح جهود الشيخ قلمدان على كتابه (هدية السماء) والمتعلق بروايات الكافي التي قال عنها: إنها مكذوبة وموضوعة من أعمال المغيرة بن سعيد وأبو الخطاب وبنان، وعرض المؤلف تعريفًا لكتاب الكافي وكتابته ومتى كتب وبعض خصائص هذا الكتاب، ثم عرض هدف المؤلف من تأليف الكافي، وعرض طريقة دراسته لكتاب الكافي عن طريق نقد سلسلة أحاديث الرواة، ثم نقد نص الحديث، وانتهى إلى عرضه على نصوص القرآن والعقل.

ثم استعرض أبواب الكتاب واحدًا بعد الآخر، بدأ بكتاب العقل والجهل إلى آخر الأبواب[1].

العلماء المصلحون للتشيع في العصر الحديث

بعد انتشار العلم وتبادل الكتب والمعلومات في العالم الإسلامي وظهور حركة النهضة الإسلامية وصلت تلك المؤثرات من الجزيرة العربية ومصر والعراق والشام إلى علماء إيران، وكثير من تلك الكتب والأفكار تحمل روح النهضة والوحدة الإسلامية؛ ولذا فقد تأثر بها كثير من علماء شيعة إيران منذ مطلع القرن العشرين، وبدأ بعضهم بنشر أفكاره وكتبه، ولكن جوبهوا من قبل السلطة السياسية وسلطة علماء الدين معًا إنكارًا وتهديدًا وسجنًا لكثير من أولئك المصلحين لمذهب التشيع الاثني عشري، واتهم بعضهم بالوهابية والذين تناولوا في إصلاحه الأفكار المتعلقة بالتوحيد والإمامة والرجعة وغيبة الإمام الثاني عشر والخمس وشتم الصحابة، وما إلى ذلك من أفكار الشيعة الاثنى عشرية التي

(١) آية الله العظمى، السيد أبو الفضل البرقعي القمي: عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول (كسر الصنم) مجلد أول، مجلد ثاني، مكتبة العبيكان ١٤١٢هـ.

خرجت فيها عن إجماع المسلمين، والحقيقة أن بعض هؤلاء المصلحين دخلوا في الإصلاح بالتدريج، فقد كانت بعض كتبهم القديمة تحمل أفكار المذهب قبل رجوعهم عنها، وبعضهم الآخر كان الإصلاح عنده يمس بعض الأفكار لا جميع ما في المذهب، ومن أولئك العلماء المصلحون للتشيع نذكر:

١. السيد أسد الله خرقاني.
٢. آية الله الشيخ محمد مهدي الخالصي (في الكاظمية ببغداد).
٣. حيدر علي قلمداران القمي صاحب كتاب:
   أ. طريق الاتحاد وكتاب دراسة نصوص الإمامة.
   ب. طريق الاتحاد في تمحيص نصوص الإمامة.
   ج. طريق النجاة من شر الغلاة.
   د. الخمس.
   هـ. رد قروي على السيد المَحَلاّتِيّ.
   و. الخلافة والإمامة، انظر: كتاب سوانح الأيام للبرقعي (ص ١٥٣- ١٥٥).

٤. الشيخ إسماعيل آل إسحاق الخوئيني.
٥. آية الله السيد محمد جواد الموسوي الغروي الأصفهاني: انظر: كتاب سوانح الأيام للبرقعي (ص ١٩٣- ١٩٥).
٦. آية الله العلامة السيد محمد حسين فضل الله (في لبنان).
٧. آية الله الدكتور محمد الطهراني.
٨. آية الله العلامة السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقعي القمي، له من الكتب:
   أ. عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول.
   ب. التعارض بين مفاتيح الجنان والقرآن.
   ج. دراسة علمية لأحاديث المهدي.
   د. الخرافات الوافرة في زيارات القبور.
   هـ. قبس من القرآن.
   و. نقد المراجعات.

obeikan.com

ز. الدعاء.
ح. العقيدة الإسلامية.
ط. منهاج السنة في رد أهل البدعة.
ي. شرح للمؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: كتاب سوانح الأيام للبرقعي (ص ١٦٨).

٩. العلامة السيد مصطفى حسينى الطبطبائي، انظر: كتاب سوانح الأيام (ص ٨٤-٨٦).
١٠. الأستاذ أحمد الكاتب.
١١. آية الله شريعت سنكلجي، صاحب كتاب:
أ. مفتاح فهم القرآن.
ب. توحيد العبادة.

١٢. يوسف شعار.
١٣. عبدالوهاب فريد: صاحب كتاب الإسلام والرجعة.
١٤. الحاج يوسف شعار التبريزي.
١٥. محمد عبدالشكور اللكهنوي صاحب كتاب:(الباقيات الصالحات) من علماء الشيعة في الهند.
١٦. حجة الإسلام والمسلمين مرتضى رادمهر: صاحب كتاب: كيف اهتديت: ولادة جديدة واختيار جديد.(ص ٣٨٩) في كتاب: سوانح الأيام.
١٧. آية الله العظمى: نعمت الله صالحي نجف آبادي، صاحب كتاب: تأمل في آية التطهير.
١٨. محمد باقر سجودي: صاحب كتاب: التناقضات في العقيدة.

opeikan.com

الفصل الثالث

التقريب بين السنة والشيعة كفكرة إصلاحية

مقدمة

إن محاولة الإصلاح لمذهب الشيعة الاثني عشرية تكاد تكون قديمة، بدأها قديمًا الذين كتبوا عن الفرق الإسلامية وعقائدها من أمثال كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، وكتاب (الفرق بين الفرق) للبغدادي، وهذا من جانب، وكتب كثيرة أخرى من الجانب السني، ومن جانب الشيعة كتاب النوبختي (فرق الشيعة)، وسعد القمي في كتاب (فرق الشيعة) أيضًا، أما في مجال الفقه، فكتب الخلاف عند الفريقين قد عنت ببحث آراء الطرفين، فعند السنة من أمثلة ذلك: أبي يزيد الدبوسي في كتابه (الأسرار)، وأبي المظفر السمعاني في كتابه (الاصطلام) والقفال، وأبي المعالي الجويني.

ومن جانب الشيعة: عَلَم الهدى المرتضى في كتابه الانتصار. ومحمد بن الحسن الطوسي في كتابه المبسوط. فقد قيل: إنه درس على بعض مشايخ الشافعية ببغداد إضافة إلى شيخه الشيعي المفيد، وكذلك الشيخ الطبرسي في كتابه (مجمع البيان) الذي قال عنه بعض المتعصبين الشيعة: إنه قد كتبه مجاراة لأهل السنة، ولكن هذه الكتابات من الجانبين لم تؤثر كثيرًا في إصلاح المذهب وإن كانت تبعث على فكرة وجوب الإصلاح، ولكن العوامل السياسية غالبًا ما تؤدي إلى تعميق الشقة بين الطرفين.

نادر شاه والتقريب بين السنة والشيعة

قام نادر شاه حاكم إيران بغزو العراق بجيش من السنة الأفغان والشيعة الإيرانيين، وكان حريصًا أن يقترب المذهبان مع بعضهما، لما شاهده من غلو حدث قبله عند الملوك الصفويين، فعند دخوله إلى بغداد أدى بجيشه التحية والاحترام، وصلّوا عند قبر أبي

حنيفة، ثم اتجه بجيشه إلى النجف، وكذا فعل عند قبر الإمام علي، وكان معه جملة من علماء الشيعة، فطلب من علماء بغداد السنة أن يأتون إلى النجف والاجتماع وبحث الفرق بين المذهبين، وهذا ما سمي بمؤتمر النجف، حيث خرج المؤتمرون بوثيقة اتفاق، كان من أهمها تحريم المتعة والترضي على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه.

دار التقريب بالقاهرة

بدأها الشيخ الشيعي: محمد تقي القمي بين شيوخ الأزهر أيام شلتوت، وذلك سنة ١٩٤٨م تقريبًا، واشترك معهم في هذا الجهد الشيخ: عبدالمجيد سليم، واتفقوا على إصدار مجلة رسالة الإسلام، ومن الذين اشتركوا في جهود التقريب الشيخ: مصطفى عبدالرازق. والشيخ محمد علي علوبة.

ومن الجانب الشيعي: الشيخ: آغا حسين البروجردي، والشيخ: محمد الحسين آل الكاشف الغطاء، والسيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي[١].

وكان يزور دار التقريب ويكتب في مجلتها كثيرًا من علماء الطرفين والساسة في اجتماعات دار التقريب (في الزمالك)، حيث كانت تضم أشتاتًا من المذاهب والفرق التي غالبًا ما كان يسود بينهم المجاملة وإخفاء ما يشين وإظهار ما يودي إلى التفاهم، وبعد أربع سنوات تكشف للشيخ عبداللطيف محمد السبكي أن من الأغراض التي طلبوها من دار التقريب المشاركة السنوية في عزاء الحسين في النجف، وتدريس مذهب الشيعة الإمامية في الأزهر، وقد تطرقت مجلة الرسالة في أول أمرها إلى أفكار عدة في الخلاف بين الطرفين، وكان من أهمها مباحث الإمامة والتقية وسب الصحابة، والمتعة والمسح على الرجلين، وقد توقفت المجلة عن الصدور سنة ١٩٧٢م، ومن آثار التقريب هذا إدخال فكرة الطلاق السني في الأحوال الشخصية المصرية، الذي يفيد بأن الطلاق الثلاث في مجلس واحد يعد طلقة واحدة خلافًا لرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عده طلاقًا بائنًا

(١) د. أحمد سيد أحمد علي: التقريب بين أهل السنة والشيعة، (ص ٦٥- ٧١)، دار اليقين، مصر، ٢٠٠٨م.

وأمضاه على المسلمين. وطبع تفسير الطبرسي (مجمع البيان) وفتوى الشيخ شلتوت بجواز التعبد على فقه الشيعة الإمامية، واستمرت الدار مفتوحة بنشاط متواضع حتى قيام الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م، ولكن أعيدت الدار (في جاردن ستي) في عهد مبارك وتم تجميدها، وقد وجه كثير من النقد إلى فكرة التقريب وما تم فيها، ومن أهم تلك الانتقادات:

أولاً: ما ذكره الشيخ: محب الدين الخطيب من أنها دعوة إلى مذهب شيعي في وسط سني قصد بها نشر التشيع في صفوف السنة، بدليل أن دولة إيران هي التي كانت تمد دار التقريب بالمال والمصروفات، وترفض إنشاء دار مثلها في طهران بقصد التعريف بمذهب أهل السنة أو في أي مركز من مراكز الشيعة، وذكر الشيخ السبكي أنه كان يرتاب من الصرف السخي على الدار وعلى الكاتبين في مجلتها، ونقل عبدالله الموصلي أن هدف التقريب في القاهرة هو نفس هدف إيران في نشر التشيع بين القبائل السنية في العراق، وكيف أنهم نجحوا في ذلك، ويدعي أحمد سيد أحمد علي، أن مرشد الثورة الإيرانية: علي الخامنئي أمر بإنشاء المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران سنة ١٤١١هـ.

ومن جهود هذا المجمع طبعت مجلة الرسالة، وطبع كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد (لابن رشد المالكي)، وكتاب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كما نشر تفسير الشيخ شلتوت.

ثانيًا: إن إزالة الخلاف بين السنة والشيعة يبدو أمرًا مستحيلاً، ودعوة التقريب لا تستطيع تحقيق هذا الهدف. وقال المدافعون عن التقريب: إن الهدف هو مجرد معرفة كل فريق ما عند الآخر، فيحل التسامح والتفاهم بدل الشقاق.

ثالثًا: إن هدف التقريب بجمع المسلمين على مذهب واحد أمر مستحيل، ويرد المدافعون: أنه ليس من أهداف التقريب جمع الفريقين على مذهب واحد، بل كما ذكرنا في اطلاع الفريقين على ما عند بعضهم بعضًا، وعزا أصحاب التقريب المشكلات التي يجب العمل عليها، هي:

١. مسألة سب الصحابة عند الشيعة الاثني عشرية:

إن أغلب مصادر الشيعة الاثني عشرية وخاصة القديمة تنقل روايات فيها شتم وسب وانتقاص من الخلفاء الراشدين الثلاثة خاصة، وبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة، وبالرغم من أن بعض علماء الشيعة أنكر هذا المسلك، منهم عبدالمحسن شرف الدين وكاشف الغطاء ومحمد جواد مغنية والشيخ الخالصي ومحسن الأمين، والحقيقة أن هذه عقبة كأداء واجهت أصحاب التقريب، ولم ينجحوا في رفع هذا الشتم من المذهب، إضافة إلى أنه قد قيل: إن بعض علماء الشيعة الاثني عشرية الذين رفعوا شتم الصحابة قالوا ذلك تقية[١].

٢. الرجعة:

قال بعض دعاة التقريب ومنهم الشيخ محمد الحسين الكاشف الغطاء: إن فكرة الرجعة عندهم ليست أصلًا من أصول الدين، وأن منكرها من الشيعة يبقى مسلمًا في حكم المذهب، ويبدو أن المجلسي على خلاف هذا الرأي، فقد قال في (بحار الأنوار) (٥٣/ ١٣٧): «الرجعة عندنا تختص بمن محصه الإيمان ومحصه الكفر، دون من سوى هذين الفريقين»[٢].

٣. تحريف القرآن:

يعتقد دعاة اليوم من الشيعة الاثني عشرية أن الإجماع يكاد يكون منعقدًا على عدم صحة الزيادة أو النقص في القرآن، ومن قال بخلاف ذلك لا يخدش هذا الإجماع، ومن أصحاب هذا الرأي: عَلَم الهدى السيد المرتضى في كتابه الانتصار، والشيخ الطبرسي في كتابه (مجمع البيان)، ونقل ذلك أيضًا عن الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي.

(١) د. أحمد سيد أحمد علي: التقريب بين أهل السنة والشيعة، (ص ٣٤٨- ٣٨٠)، دار اليقين للنشر مصر، المنصورة، ٢٠٠٨م.

(٢) د. ناصر بن عبدالله القفاري: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، القسم الثاني، (ص ١٠٢٩)، دار طيبة، الرياض١٤١٦هـ.

ومن علماء اليوم:

أبو القاسم الخوئي، ومحمد جواد البلاغي، ومحمد تقي الحكيم، ومحمد رضا المظفر[١]، ولكن الفريق الآخر يصر على أن أكثرية علماء الشيعة الاثني عشرية على فكرة تحريف القرآن ومن قال بخلاف ذلك ربما قال تقية، والذين قالوا بالتحريف كثيرون، منهم الشيخ المفيد والكليني والقمي في تفسيره والعياشي في تفسيره، ومن القائلين بالتحريف الشيخ أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي في كتاب (الاحتجاج)، ومحمد باقر المجلسي في (مرآة العقول)، ونعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الإنسانية)، والشيخ النوري في كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)، والشيخ البحراني في تفسيره (البرهان)، ومحسن الكاشاني في تفسيره (الصافي)، وتلميذ الكاشاني أبو الحسن العاملي محمد طاهر الفتوني، والشيخ ناصر النوري في كتابه هداية المرتاب في تحريف الكتاب[٢].

٤. السنة النبوية

يرى الشيعة الاثني عشرية: أن الحديث هو ما نقل عن المعصوم، وانقسموا في صحة ما روي في كتبهم؛ فالطائفة الإخبارية يرون أن جميع ما ورد في كتب الحديث الأربعة خاصة وغيرها روايات صحيحة وموثقة، من جهة سلسلة الرواة، ومن جهة نص الحديث، وعلى خلاف ذلك طائفة الأصوليين (المنسوبين لتحكيمهم قواعد أصول الفقه، ولا تعني الرجوع إلى أصل النص عن الرسول وأصحابه)، فهؤلاء قد ألّفوا في علم الرجال، ومن يقرأ كتبهم يجد أكثرية الرواة غير موثقين عندهم.

وقد تأخر عندهم الكتابة في علم الحديث، ولم يظهر ذلك إلا في أواخر القرن السادس الهجري على يد فقهاء الحلة غالبًا، وليس عندهم تلك التقسيمات المعروفة للحديث عند السنة: (متواتر- صحيح- حسن- مكذوب- أو غير صحيح- خبر آحاد).

(١) د. أحمد سيد أحمد علي: مصدر سابق، (ص ٤٠٦)، وما بعدها، و(ص ٤١٦)، وما بعدها، (ص ٤٢٤)، وما بعدها، و(ص ٤٧٠)، وما بعدها.

(٢) د. ناصر بن عبدالله القفاري: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، القسم الثاني، (ص ١٠- ٣٨- ٦١- ٦٧)، دار طيبة، الرياض، ١٤١٦هـ.

وقد بدؤوا بتصنيف الخبر إلى صحيح وغير صحيح، وأضيف الحديث الموثوق في القرن السابع على يد ابن طاوس أو قيل على يد ابن المطهر الحلي، وأنهم بذلك قد قلدوا ما عند السنة من تقسيم الحديث، وقد تناول دعاة التقريب بين الطرفين مباحث نكاح المتعة، حيث توقف كل طرف يدافع عن دليله، ومسألة المسح على الرجلين، وقد أثبت كل فريق رأيه المعروف فيها، دونما تقريب، أما الجمع بين الصلاتين فقد شرح كل فريق ما عليه مذهبه.

وعمومًا فإن فكرة التقريب والعمل السابق فيها لم تكن ناجحة، وقد أدت لتعريف علماء الأزهر خاصة بمذهب الشيعة الاثني عشرية، فقد كان أكثرهم ولا يزال غير مطلع على ما فيه من غلو، وأما الجانب الآخر، فقد أفاد في نشر مذهبه في وسط جديد.

عمومًا فإن هذه التجربة حرية بالدراسة ومفيدة دراستها لمن يتصدى لإصلاح التشيع، وما فيه من غلو يتسبب في تفرقة المسلمين، ويفتح فجوة لأعداء الإسلام للنفاذ منها ضد الفريقين[١].

ويرى محب الدين الخطيب استحالة الالتقاء أو التقريب بين مذهب الشيعة الاثني عشرية ومذهب السنة، وذلك استنادًا إلى موقف كل منهما، وليس فقط بسبب ابتعاد أصولهم في الاعتقاد عن أصول السنة، بل إلى شهادة بعض علمائهم، فقد نقل أن الشيخ الخونساري نقل أيضًا رأى نصير الدين الطوسي، الذي مفاده أن فرقة الشيعة الإمامية هي الفرقة الناجية الوحيدة، وما عداها من فرق فهم على ضلال[٢].

(١) د. أحمد سيد أحمد علي: مصدر سابق، (ص ٤٧٠)، وما بعدها.

(٢) محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة، ط ٣، (ص ٨١)، ١٤٠٩هـ.

الخلاصة

قد أثبتنا بالدلائل التاريخية والفكرية أن مذهب التشيع وخاصة مذهب الشيعة الغلاة الذي ورث التشيع السياسي في القرنين الأول والثاني الهجريين، ثم تحول إلى مذهب ديني، استعار أفكاره واعتقاداته من عناصر أجنبية، تبدأ من الديانات الوثنية: كالمجوسية والهندية، أو ديانة وادي الرافدين والصابئة، أو من ديانات سماوية كاليهودية والنصرانية، أو من الفلسفة اليونانية وخاصة الأفلاطونية المحدثة، وأثبتنا انتقال تلك العناصر عن طريق عدة جسور ووسائل وأسباب، منها العرب الذين كانوا على النصرانية أو اليهودية ثم دخلوا الإسلام والتشيع خاصة، واستوطنوا البلاد المفتوحة، فهؤلاء العرب كانوا من أوائل الشيعة السياسيين في القرون الأولى، ثم تبين لنا دور الموالي والشعوبية، ورواة الحديث في نقل العناصر الأجنبية إلى التشيع خاصة في مراكز التشيع كالكوفة والمدائن وقم في إيران.

كما أثبتنا الدور الذي قامت به بعض فرق الصوفية في نقل تلك العناصر الأجنبية إلى التشيع، وخاصة فرقة البكتاشية وعلاقتها فيما بعد بالدولة الصفوية، وأثبتنا يقينًا جملة من علماء وفلاسفة وصوفية شيعة إمامية، كانوا يحملون بعضًا من تلك العناصر الأجنبية في أفكارهم، وذلك مما دونوه في كتبهم على امتداد تاريخ التشيع.

وتساءلنا أخيرًا: هل يمكن إصلاح الفكر الشيعي؟ وذلك بتقديم بعض المحاولات التي نترك للقارئ تقييم مدى قدرتها على الإصلاح. أملنا كبير أن يتم الإصلاح على يد علماء الشيعة أنفسهم؛ لأنهم أعرف من غيرهم، وهم القادرون على إصلاح ما سببه الشيعة الغلاة طيلة تاريخ التشيع.

علاقة معتقدات الشيعة المنتحلة بالسياسة

لعل القارئ الكريم بعد أن يقرأ أبواب هذا الكتاب الذي أثبت انتحال الشيعة لكثير من العناصر الأجنبية المتعلقة بالديانات والفلسفات القديمة، يتساءل: ما هي دوافع الشيعة لما وراء تلك الأفكار؟ بالرغم من أنها تتناقض في كثير أو قليل مع نصوص القرآن

الكريم والسنة الثابتة، وعلمهم الصريح بذلك. فلماذا يخالفون مجموع الأمة الإسلامية في عقيدتها؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إن الأسباب تتلخص فيما يأتي:

١. السبب السياسي

وهو السبب الرئيس لدوافع الشيعة، فمنذ تكوين المعارضة السياسية ضد الخليفة عثمان رضي الله عنه اتخذت هذه المعارضة في البداية سببًا سياسيًّا، مفاده أن الإمام علي بن أبي طالب كان الأولى بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع تصاعد الخلاف السياسي بدأت المعارضة التي التفت حول الإمام علي تضيف أفكارًا وعقائد تؤيد فيها معارضتها خاصةً للأمويين، وهذه الإضافات من العقائد والأفكار تبنتها مجموعات وفرق الشيعة في بداية ظهورها، ويمكن الإشارة إلى تلخيص مواقف تلك الفرق بما يأتي:

١. موقف السبئية:

وقد ظهروا في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، وتسببوا في اغتياله خاصة من أولئك العرب المتهودة من قبيلة جيبل وجذام وكندة، الذين جاؤوا من الفسطاط بمصر، ومثلهم القادمون من الكوفة من متهودة العرب من قبيلة همدان وحمير، ثم اتسع نفوذهم في خلافة الإمام علي رضي الله عنه، وانضووا تحت لوائه منتشرين بين جيشه خاصةً، وقد أوضحنا فيما سبق عدم قدرة الإمام علي في تنقية جيشه وأصحابه من هذه المعارضة السبئية، وقد نادت واستعارت أفكارًا من اليهودية والمجوسية أخصها ما ذكرناه من فكرة العصمة، وأن الإمام يعلم الغيب، وأن له صفة إلهية، ورثها عن طريق النور المحمدي، وحتى عندما أُغتيل من قبل الخوارج ادعت السبئية أنه لم يمت، وأنه سيرجع، وهو في السماء حيث إن الرعد صوته والبرق سوطه، إلى ما هنالك من أفكار السبئية المنسوبة لعبدالله بن سبأ وأصحابه التي سبق أن عرضناها مفصلاً، وهذه المعارضة تذهب إلى تكفير مخالفيها بسبب عدم إطاعتهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيما يدّعون من وصيته لعلي بالخلافة بعده؛ ولذا فهم يكفرون الخلفاء الثلاثة وأكثر صحابة رسول الله بوصفهم مرتدين عن الإسلام.

٢. الكيسانية:

وهي المنسوبة إلى كيسان من موالي عبيدالله المختار الثقفي، الذي ثار بالكوفة انتقامًا لقتلة الحسين بن علي رضي الله عنه، وادعت الكيسانية بالخلافة إلى محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بـ(ابن الحنفية) بعد مقتل والده، ونسبوا له الإحاطة بالعلوم كلها، وله علم التأويل عن طريق معرفة الباطن، وترى الكيسانية أن الإمام له حق تأويل الشريعة وتفسيرها حسب علمه؛ ولذا فهو واجب الطاعة في كل ما يأمر به، فالدين عندهم طاعة رجل، كما ينقل الشهرستاني في الملل والنحل؛ ولذا فطاعة الرجل (الإمام) تبطل جميع فرائض الإسلام.

ومن فرق الكيسانية الهاشمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية، التي من أفكارها أن لكل ظاهر باطنًا، ولكل شخص روحًا، ولكل تنزيل تأويلاً، ولكل مثال في (العالم العلوي) حقيقة في عالمنا، وهذا العلم استأثر به ابن الحنفية لابنه أبي هاشم.

إن الكيسانية والهاشمية على الأخص فتحت بابًا واسعًا منذ نشأت التشيع في القرن الأول الهجري عن طريق التأويل الباطني، الذي كان منتشرًا ومعروفًا في العقائد الدينية والفلسفية القديمة، وأخصها ما أشرنا إليه في اليهودية وفي الفلسفة اليونانية والمؤثرات المجوسية (مات أبو هاشم سنة ٩٨ هـ بالحميمة، وقد ادعى العباسيون أن أبا هاشم قد أوصى لهم بالخلافة بعده).

٣. الخرمية:

ومن أشهر دعاتها المدعو خداش الذي أسلم بعد أن كان نصرانيًّا في الحيرة، وقيل: إن اسمه خداش كناية لخدشه دين الإسلام، وقد توفي سنة ١١٨هـ بخرسان، بعد أن اختير وهو في العراق الذهاب إلى خرسان للدعوة لإمامة آل البيت مع نقباء بني العباس.

ونسب للخرمية عقائد مجوسية تتعلق خاصةً بالتفتيش عن اللذة، وخاصةً مع إباحة النساء، وكلها أفكار لها علاقة بالديانة المزدكية الفارسية القديمة، ويرى الباحث فان

فلوتن أن الخرمية هي من أوائل المذاهب التي نادت بفكرة وحدة الوجود، متأثرين بما هو موجود في المذاهب القديمة التي بسطنا البحث فيها[١].

وقد أضحت الخرمية في بابك حركة الحسن: في فارس كان لها أثر بالغ في عهد المأمون فيما بعد، حيث إن بابك الخرمي قاد مجموعة بالثورة ضد الدولة، وادعى أن الإمامة هي لآل البيت وليست شورى بين المسلمين، وقد بسطنا آراء بابك في كتابنا (جذور التشيع وأسبابها)[٢].

٤. الراوندية:

وهي المنسوبة إلى ابن الراوندي، الذي وصفه علماء الإسلام بالملحد، حيث كانت آراؤه مناقضةً لعقائد الإسلام، وقد نشأت هذه الحركة والفرقة في مدينة راوند بإيران قرب أصفهان، وآراء هذه الفرقة متأثرة باليهودية، وأخصها مقالتها المتعلقة بأن الإمام له صفة الألوهية عن طريق الحلول أو التناسخ، وقد انقسمت الراوندية إلى عدة فرق بفارس أشار إليها مؤرخو الفرق منهم النوبختي في كتابه فرق الشيعة[٣].

لقد اخترنا الإشارة إلى هذه الفرق التي تكونت في القرن الأول الهجري، وأشرنا إلى التذكير بمعتقداتها دون تفصيل، وهذه الفرق ومعتقداتها لم تكتف بمجرد بث آرائها، وإنما كانت عبارة عن ثورات وحركات سياسية ضد الدولة الإسلامية في العراق وفارس، خاصة وقد حمل آراء هذه الفرق الشيعية رجال انتقلوا من الكوفة والمدائن خاصة إلى مختلف أقاليم فارس وخاصة خراسان، وحينما جاء محدثو الشيعة لتدوين الحديث عندهم في المذهب وجدوا رواتهم خاصة من الموالي والعرب الذين تأثروا بهذه الأفكار، فنقل محمد بن يعقوب الكليني في كتابه (الكافي) أواخر القرن الثالث الهجري جميع آراء وأفكار تلك الفرق على تناقضها الواضح، فكتابه يحوي خليطًا من آراء تلك الفرق الشيعية المغالية، وضعها الرجال على شكل أحاديث نسبوها إلى أئمة الشيعة الاثني عشرية زورًا

(١) فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، (ص ٢٠٣)، ترجمة: د. حسن إبراهيم- محمد زكي إبراهيم، ط ٢.

(٢) د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: جذور التشيع وأسبابها، (ص٢٧٥)، ط ١، ٢٠١٢م -١٤٣٣هـ.

(٣) د. عبداللطيف عبدالرحمن الحسن: مصدر سابق، (ص ٢٧٢)، ط ١، ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ.

وكذبًا بشهادة علماء ورجال الشيعة المتخصصين في علم الحديث: كالكشي في رجاله، والنجاشي في رجاله، وابن الغضائري، وغيرهم من أمثال (آية الله العظمى السيد أبو الفضل البرقعي القمي) في كتابه (كسر الصنم)، وكثير غيره من الذين بسطنا آراءهم المتعلقة في الأحاديث المروية في الكافي وبعد الكليني ابن بابويه القمي، فجمع أحاديث أخرى في كتابه (من لا يحضره الفقيه)، ويحتوي على بعض ما أورده الكليني، وأضاف إليه أحاديث أخرى أقل غلوًّا مما جاء في الكافي بالرغم من وقوعه في التضاد بين الأحاديث التي أوردها، مثال ذلك الأحاديث المتعلقة بالسهو في الصلاة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة وجواز السهو عليهم، وأحاديث تناقض ذلك تتعلق بالعصمة من الخطأ والسهو، وبعدهم جاء محمد بن الحسن الطوسي، فجمع أيضًا أحاديث للشيعة في كتابه (الاستبصار)، وكذلك كتابه المشهور بـ(التهذيب)، ففي التهذيب يعد الطوسي في مقدمته إلى أنه سيقوم بتصحيح الأحاديث المتناقضة فيما بينها، وسيصلح أخطاء من جمع قبله من الأحاديث التي لم تصح في نظره، ولكنه في آخر كتابه يعتذر للقارئ أنه لم يستطع تحقيق ما وعد به، حيث يبدو أنه غرق في بحور متلاطمة من الأحاديث المتناقضة التي إن أسقطها سقطت معه عقيدة الشيعة، وهذا ما عبر عنه بعض محدثي الشيعة، حينما اكتشفوا أن غالبية رواياتهم مكذوبة، قالوا بوجوب التمسك بما جاء فيها من عقائد وأفكار؛ لأنها أصبحت من ضرورات المذهب.

وهكذا يتضح للقارئ الكريم كيف أن العامل السياسي دفع إلى تبني أفكار وعقائد ديانات وفلسفات قديمة تمسكوا بها بالرغم من شهادتهم ببطلان وكذب رواتها، لأنها أصبحت بمرور الزمن من ضرورات عقيدة التشيع، وأرجو أن ينظر القارئ الكريم إلى جدول الأحاديث الذي وضعناه في كتابنا (جذور التشيع) الذي يعكس هذه الحقيقة، ومن هنا نود الإشارة إلى أن الفرد الشيعي اليوم وخاصةً غير المطلع على تلك التفاصيل قد لا يلام كثيرًا لأنه قد شرب تلك الأفكار من طفولته وبين أسرته، ولذا أصبح لزامًا على أهل العلم ومن بيدهم قيادة الأمة مسؤولية تبصير الشيعة بهذه الحقيقة التي رافقت التشيع منذ نشأته الأولى، وهذا أحد الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا الكتاب.

ومن الجدير بالذكر أن التشيع السياسي في نشأته الأولى كان عربيًّا تكون في الغالب من رجال الإمام علي رضي الله عنه، ومن القبائل اليمنية وبالأخص التي انضمت إلى جيشه، وحين انكسارها تفرقت من الكوفة إلى أنحاء بعيدة عن مركز الخلافة وخاصة الأقاليم الفارسية في قم وخراسان وكاشان، وفي مرحلة تالية انخرط الموالي من غير العرب في التشيع خاصة بعد ثورة المختار في الكوفة، على التفصيل الذي أوردناه في كتابنا (جذور التشيع)، فالدافع السياسي: كما يبدو من أهم أسباب تكوين أفكار التشيع، وهنالك أسباب أخرى مساعدة منها:

١. السبب الاقتصادي:

استن الخلفاء الراشدون الثلاثة على تقسيم العطاء على الجيوش وعلى المسلمين المستحقين، حسب أقدميتهم في الإسلام، فالذين أسلموا في بداية الدعوة من المهاجرين والأنصار وأهل بدر يدفع لهم عطاء أكثر من غيرهم، والذين دخلوا الإسلام بعد فتح مكة يدفع لهم من العطاء أقل من الأوائل المذكورين أنفًا، ويأتي الأخيرون الذين دخلوا الإسلام بعد انتشاره وحين الفتح الإسلامي خاصة إلى بلاد ما وراء النهر، ولما كانت أكثر القبائل اليمانية قد دخلت الإسلام بعد الفتح فقد أتت حصتها من العطاء أقل من أهل العالية (المهاجرين والأنصار)، وقد كان الإمام علي رضي الله عنه يخالف هذه السياسة في تقسيم العطاء، حيث كان يرى منذ عهد عمر رضي الله عنه وجوب التقسيم بالتساوي بين المسلمين، وقد نفذ ذلك في خلافته، ولكن بعد مجيء الخلفاء بعده رجعوا إلى سياسية التقسيم الأولى، مما أوغر صدور أكثر القبائل اليمنية التي كانت بالفعل منضوية تحت لواء الإمام علي رضي الله عنه.

فقد كانت ناقمة على سياسة بني أمية في تقسيم العطاء، وهذه النقمة سببت انضواء كثير من رجال هذه القبائل في الثورات التي قامت ضد الأمويين، وكانت في أول عهدها متصفةً بصفة الثورة السياسية، ولكن بمرور الزمن واتصال أولئك الناقمين بعناصر وحركات غير عربية أصبح أولئك من أوائل حملة التشيع السياسي في البداية، حيث كانوا فقط يفضلون إمامة علي رضي الله عنه وبنيه بعده، ولكن بعد قمع تلك الثورات والحركات الشيعية والعلوية انقلبت أفكارها إلى تبني أفكار الغلاة شيئًا فشيئًا بتقدم

الزمن والاحتكاك والسكن بين ظهراني أمم غير عربية خاصة في فارس، حيث تسللت العناصر الأجنبية من الديانات والفلسفات القديمة إلى الشيعة.

٢. السبب الإقليمي الجغرافي

إن الباحث إذا تتبع العرب وقبائلهم من حيث مسكنهم منذ ما قبل الإسلام يجد أن بعضًا منهم قد سكنوا قريبًا من الأقاليم الأجنبية الفارسية أو الرومية في الشام والعراق، حيث تمثل الإمارات العربية مثل ميسان والحضر والحيرة والرها والغساسنة وغيرها تمثل نقاط التقاء.

فقد كان هؤلاء العرب على تماس بالأمم الأخرى، وتبنى بعضهم بعض تلك العقائد القديمة، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه كان من السهل أن يدخلوا ويدَّعوا أن بعضًا من تلك العقائد هي من الإسلام أو من أفكار الأئمة، وقد بسطنا هذا السبب بوصفه جسرًا عبرت منه عقائد الديانات والفلسفات القديمة إلى التشيع.

ومن أهم الأسباب الإقليمية التي وجدتها فيما يبدو أحد العوامل التي عبرت منها عقائد وأفكار الديانة اليهودية خاصةً بين بعض القبائل اليمانية في اليمن قبل الإسلام، فأثر الفكر اليهودي والمجوسي الإيراني كان واضحًا على بعض العرب اليمانية، فلما دخلوا الإسلام وانضووا تحت لواء الإمام علي رضي الله عنه أظهر كثير منهم عقيدته القديمة، واستخدمها للانتصار للإمام علي في حروبه، وتحولهم بعد ذلك بوصفهم حزبًا معارضًا للدولة ينادي بإمامة آل البيت المعصومين والمخلوقين من النور الإلهي وما إلى ذلك من الصفات التي سبق أن بسطناها.

كما نشير إلى عامل مهم في هذا المجال، وهو أن كثيرًا من هؤلاء العرب قد استوطنوا أقاليم من فارس ومن الدولة الرومانية. وذلك بعد الفتح الإسلامي، فقد كان بعضهم من حملة التشيع، حيث ساعدوا على انتشاره في تلك البلاد.

٣. السبب الديني

ان كثيرًا من العرب بل ربما بعض القبائل كانت على الديانة النصرانية قبل الإسلام كقبيلة تغلب وبعض منهم كانوا على الديانة اليهودية أو المجوسية، فلما دخلوا الإسلام كانت

تلك الأفكار من تلك الديانات راسخةً في أذهانهم استخدموها في تناول العقائد والأفكار الإسلامية، وخاصة ما أدخلوا منها على التشيع، وبمرور الزمن ترسخت تلك الأفكار وتوزعت على فرق ومذاهب شتى شكلوها حسب حاجتهم في الاحتجاج ضد خصومهم، وقد أوردنا مجموعة كبيرة من الكنائس النصرانية ومدارسها، وكذلك اليهودية ومعابدها المنتشرة في بلاد العرب والمسلمين، وقد أوردنا في ثنايا البحث رجال دين من النصرانية واليهودية والمجوسية دخلوا في التشيع، وتركوا سمات واضحة وصلتنا عن طريق مصادر الشيعة القديمة خاصة.

ومن هنا يظهر أن التشيع كان في أول نشأته عربيًّا، ثم في وقت لاحق تبنته الشعوب غير العربية كالفرس والروم وحرفته واستخدمته لتحقيق أغراضها، ولكن مما يأسف له أن تلك العناصر غير العربية كانت غاليةً في أفكارها وعقائدها الشيعية إلى درجة تبلغ بعض الأحيان إلى الانقلاب على العرب وملامتهم حتى الشيعة منهم.

٤. انتشار الفرق الصوفية:

إن التصوف في مناحيه وأفكاره ساعد على انتشار وتكوين التشيع. وكما عرضنا فإن التشيع والتصوف يلتقي في كثير من الأفكار المستعارة من الديانات والفلسفات القديمة، خاصةً ما تعلق بصفات الشيخ أو الإمام وادعاء عصمته ومعرفته بالغيب وكشف الحجب والأسرار وإبراء المرضى، وقد يصل الحال إلى الادعاء بإحياء الموتى، وأن له صفة أو جانبًا إلهيًّا قادرًا على تسيير الكون بدعوة الحلول الإلهي وفكرة وحدة الوجود، وما إلى ذلك من ادعاءات بسطناها في هذا الكتاب.